بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ظل الأدب المصري الإسلامي غامضًا مجهولًا لا يعني به أحدٌ، ورغب عنه مؤرخو الآداب والأدباء؛ اعتقادًا منهم أن ما خلفته مصر الإسلامية من أدب غث لا قيمة له، وأن مصر حرمت من وجوه الكتَّاب وفحول الشعراء، ولم تساهم في الحياة الأدبية العربية بقدر ما ساهم به غيرها من الأقطار الإسلامية. وبهذه العقيدة أُهملت دراسة الحياة الأدبية في مصر الإسلامية.

حتى كان الجيل الحاضر الذي أخذ فيه المصريون يعنون بمخلفات سلفهم، واجتمعت كلمتهم على البحث والتنقيب عن مدنية مصر في مختلف عصورها؛ ونادى الأستاذ الجليل الدكتور «طه حسين بك» عميد كلية الآداب بإنشاء كرسي للأدب المصري الإسلامي بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول؛ للعمل على كشف دفائن الأدب المصري الذي لم يدرس إلى الآن. سمعت من الأستاذ الجليل هذا النداء عام ١٩٣٠م فلبيتُ نداءه وقبلتُ مشورته، وتملكتني فكرتان: الأولى: أني مصري وعليَّ واجبات نحو بلادي؛ وهي أن أعمل على ما

يعزها ويرفع من شأنها، والثانية: أن هذا الموضوع لم يبحث إلى الآن بحثًا علميًّا دقيقًا. فسعيت لهذا البحث تدفعني رغبة شديدة في تحقيقه، وسرعان ما وجدت نفسي أمام حياة أدبية مزدهرة لا تقل كثيرًا عن حياة الأقطار الأخرى؛ ولسوء حظ مصر فقد جل معالم هذه الحياة ولم يبق منها إلا النزر اليسير.

ووجدت ظاهرة غريبة هي أن كثيرًا من أدباء المسلمين ومؤرخيهم عنوا

بمصر عناية خاصة؛ فالصولي وضع كتابًا في شعراء مصر[١]، والواقدي وابن إسحاق الأموي وغيرهما كتبوا في «فتوح مصر»، وزار المسعودي مصر فوصفها في كتابيه «مروج الذهب» و«التنبيه والإشراف». كما عنى كثير من المصريين بتأريخ بلدهم ووضعوا مجلدات عنها دون غيرها، وقد رجع المسعودي إلى بعضها مثل «فتوح مصر» لابن عبد الحكم، وكتاب «الأجواد» لمحمد بن زكريا الغلابي، وعمار بن وسيمة المصري وعيسى بن لهيعة المصري[٢] وغيرهم.

وإذا بحثنا عن سبب عناية المسلمين بمصر وجدنا أن أكبر دافع لهم على ذلك ورود هذه الآيات القرآنية الكريمة التي أنزلت عن مصر وهذه الأحاديث النبوية الشريفة التي ورد فيها ذكر مصر والمصريين، ثم لما روي عن مصر وملكها وثروتها وعجائبها؛ كل هذه جعلت المسلمين يتطلعون إلى مصر وأن يكتبوا عنها ما كتبوا.

وكانت مصر من الناحية العلمية موردًا لجمهور المحدثين وعلماء الفقه، وفقه الشافعي ومالك على الأخص؛ وعن محدثي مصر روى البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم، وعن نحاة مصر أخذ علماء المغرب. فالحياة العقلية في مصر كانت قوية عظيمة النشاط والنتاج مما يضطرني إلى أن أقول: إنَّ دراسة الأدب المصري الإسلامي تحتاج إلى جهود متضافرة حتى ينجلي ما غمض منه؛ وهذا العصر الذي أؤرخه في هذا البحث -من الفتح الإسلامي إلى دخول

(١) معجم الأدباء لياقوت: ج٢، ص٥ (طبعة مرجوليوت).

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج١، ص٤ (طبعة بولاق).

الفاطميين- شديد الظلمة، عليه ستار كثيف من الغموض والإبهام شأنه في ذلك شأن كل بلد في دور الانقلاب والتطور من حالٍ إلى حالٍ. ولعل مصر لم تشاهد انتقالًا وتطورًا كهذا الذي شاهدته في هذا العصر؛ فبعد أن كانت مسيحية الدين أصبحت إسلامية، أضفْ إلى ذلك ما كان من دخول عناصر كثيرة من العرب تمصرت وسكان مصر تعربوا؛ وكون الجميع شعبًا واحدًا هو الشعب المصري الإسلامي الذي سنتحدث عن علومه وآدابه.

أتممت هذا البحث في عام ١٩٣٤م وتقدمت به إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول فمنحت درجة الماجستير «بمرتبة الشرف» عام ١٩٣٥م، ثم بدا لي أن أحذف بعض فصول منه وأن أضيف إليه فصولًا أخرى، وأن أغير بعض آراء اضطررت إلى تغييرها بعد قراءة مصادر أخرى لم أكن اطلعت عليها. فهذا الكتاب يختلف الآن تمام الاختلاف عن البحث القديم، وأرجو أن أكون وفقت في هذا البحث.

(وبعدُ) فأرى حقًّا عليَّ أن أسجل جزيل شكري لحضرات أساتذتي الأجلاء: الدكتور طه حسين بك، وأحمد أمين، وعبد الحميد العبادي، والدكتور عبد الوهاب عزام، وأمين الخولي. فقد قرأوا هذا البحث واستعنت بآرائهم في كثير من المشكلات التي واجهتني، فأنا مدينٌ لهم بذلك.

محمد كامل حسين